المشروع الفلسفي للحداثة عند يورغن هابرماس
The Project philosophical of modernity for uergen hebermes.

الاسم واللقب: عبد الحق بولخراص
مختبر: الدراسات الفلسفيّة والتّاريخيّة ـ سطيف ــ
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية **جامعة:** سطيف **البلد:** الجزائر
البريد الالكتروني: boulakhrasabdelhak@gmail.com
قَدم للنشر في:17-08-2021 **قَبِل للنشر في:** 25-11-2021..تاريخ النشر: 01-05-2022.

الملخّص :
يندرج هذا المقال في باب الفلسفة الغربيّة المعاصرة ، فصاحبه كتب في قضية مفهوم الحداثة الحقة ، ولكن بعد تصحيح أخطاء الحداثة الغربيّة ، وبأسلوب جديد مخالف للمفهوم القديم ، فهابرماس بدأ في انتقاداته بدءا من ميلاد الحداثة الغربيّة ، بداية من عصر التنوير حتى فلاسفة مدرسة فرانكفورت و فلاسفة الاختلاف ، حتى وصل إلى إعادة تجديد وإنقاذ المفهوم الفلسفي للحداثة الغربيّة.
كلمات مفتاحية: الحداثة، العقلانية، النقدية، الاختلاف، العقل التواصلي

Summary:
This essay inters in senses of a western modern philosophy , his writer wrote this easy for objective of explaing and clarifying the meaning of a true modernism , but after a taken of correction of the western modernism and with a new meaning and conception That Is to Say , He wanted to escplain the sense of give a true definition for the western with his awn and distending completely deferent the old awn , so that , habermas begain his criticism , starting from the birth the western modernism starting from the enlightment period tille the Frankfort philosophy school and philosophists of deference ,until he reached the renew and restored the philosophical definition of the western modernism ,with his own ideas ,undesting meaning meaning and eeclear sense of the western modernism
Keywords : modernisme, rationalisme, criticisme, différence, counets mind

مقدمـــــــة:

لقد شهد القرن العشرون العديد من التيارات الفكريّة التي شكّت في المشروع الحضاري للحداثة والتنوير الغربي ، فقد جاء هذا القرن بالكثير من الكوارث على أوروبا وعلى العالم ، وأيضا مما أدى إلى زعزعة الثقة في القيّم والمثل التي دعا إليها عصر التنوير مثل العقل والحريّة والعدالة والمسّاواة ، فمنذ أوائل هذا القرن ظهرت فلسفات متشائمة في التاريخ أبرزها فلسفة " أزوالد شبنجلر " الذّي رأى أن الغرب أُفلس فكريا وأن الحضارة الغربيّة في اضمحلال ، وبعدها ظهرت تيارات فكرية تتخلى عن النماذج الكبرى التي اعتمد عليها الفكر الغربي طويلا ، فظهرت البنيويّة والتفكيكيّة وقدمت نقدا جذريا لمفاهيم الذات والوعي الذاتي والتقدم

والحريّة وفكرة الاتصال التاريخي وحكمت على الحداثة بالإفلاس والفشل وفي نفس الوقت الّذي كان يتبلور فيه فكر ما بعد الحداثة ، أي فترة الستينات والسبعينات كان يتبلور فكر فيلسوف جديد وهو المفكر الألماني المعاصر " يورغن هابرماس " الّذي يعّد من أبرز فلاسفة الجيل الثاني من مدرسة فرانكفورت ، هذا المفكر الّذي همّه هو إعادة بناء الحداثة الغربيّة من جديد وهذا يتطلب منه القول بالمغايرة والاختلاف لمّا كان معهودا سابقا ، وهذا من خلال إعطاء نظرة جديدة وخطاب معاصر بثوب مغاير مغايرة حقة ، فلقد حاول "هابرماس " بموقفه النّقديّ الجديد للحداثة الغربيّة ونظرته الجديدة المعاصرة ، وهذا بهدف تحرير الفكر المعاصر من الخطاب المتمّركز حول ذاته ، فالمشكلة هنا تتعلق بقضية الحداثة ، وهذا لأنها تعتبر المشروع الفلسفي لهابرماس ، وهذا ما يتطلب طرح التساؤلات الآتيّة : كيف تأسّست الحداثة الغربيّة ؟ وكيف انتقدها الفلاسفة ؟ما موقف هابرماس من الحداثة الغربيّة ؟ أيّ ما طبيعة الحداثة الّتي يريدها ؟ وماهو البديل الّذي يريده في مشروعه الفلسفي للحداثة الأوروبيّة ؟

1/ الحداثة وأزمة العقلانية الأوروبية :

1-1/ تأسيس الحداثة : (رواد المشروع الحداثي الغربي) :

1-1-1/ ديكارت والحداثة :

يلقب ديكارت بأنه : " أبو الفلسفة الحديثة " أو " أبو الفلسفة العقلانيّة " فلماذا هذا التلقيب التّاريخيّ لديكارت؟ بالفعل يستحق ذلك باستحقاق وجدّارة ، لأنّه نقل المجتمع الفرنسي و الغربي ككل من سيطرة رجال الدين الكنائسي إلى منطق التحرّر والانفلات الحرّ العقلانيّ من كل القيود الظلاميّة التي تعرقل عمل الإنسان الغربيّ ، وهنا نجد " جون كوتنغهام " يؤكد أنّ ديكارت يمثل الشّخصيّة المحوريّة في الانتقال من الفلسفة الكلاسيكية ، وبه يعرف هذا العصر بالعصر الذهبي أو التنويري وهو عصر ابتكار وبحث عن المنهج للوصول إلى الحقيقة ، فمن خلال كتابه : " تأملات في الفلسفة الأولى " سنة 1941 م تحرّر ديكارت من الافتراضات المسبقة في الماضي ، ومن الآراء المسبقة التي اكتسبها من أبويه ومعلميه[1]. فهذا التحرّر العقلانيّ جعله من رواد الحداثة الغربيّة ففكرة الكوجيتو غيّرت وجه العالم ككلّ ، فهذا " جورج زيناتي " يتحدّث عن طبيعة الكوجيتو الديكارتي على أنّه " ليس كوجيتو نظري فقط ، بل كوجيتو عملي ، ذلك الكوجيتو الذي خبأ وراءه كوجيتو ثان وهو التقدم العلميّ والتقنيّ "[2] .

---

[1]- جون كوتنغهام : **العقلانية** ، ترجمة محمد منقذ الهاشمي ، مركز الانتماء الحضاري ، تونس ، ط1 ، سنة 1997 ص ص (47 - 48).

[2] - جورج زيناتي : **رحلات داخل الفلسفة الغربية** ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، سنة 1993 ، ص121.

وفي نفس الحدّث الحداثويّ نجد " نيتشه " يعترف لديكارت على موقفه الحداثويّ ، حيث أضفى على الفكر الكلاسيكي منزعا علميا ، لهذا نيتشه يقول : " إنّ ديكارت هو سقراط يقيم بيننا "[3].

فهذا اعتراف من نيتشه لديكارت حول المنزع الحداثي الّذي أحدثه ديكارت بين الطابع الخرّافيّ والأسطوريّ والطابع العلميّ ، وهذا هو السبب الّذي شبهه بسقراط العصر ، لأنّه يمكن القول صراحة أنّ سقراط هو الّذي مهّد للفكر الحداثي ، وخاصة حينما قيل عنه : " أنّه أسقط الفلسفة من السّماء إلى الأرض ، فهذا له وقع كبير وعظيم في تغير وجه العالم بأسره ، وإلى جانب هذا نجد في قوله : " إنّ ديكارت لم يكن حداثويا فقط ، بل أكثر حداثة"[4].
فهنا تظهر حداثته في تعقله بالمشروع ، العلم الكونيّ ، أو " المعرفة الكونيّة " وهكذا فديكارت مهّد الطريق للفكر الحداثي الغربي وفتح مجال الحداثة الغربيّة على مصرعيها قدما نحو الأمام .

1-1-2/ كانط والحداثة :

كلما قرأنا المقولة الكانطيّة القائلة : " كن جريئا في إعمال عقلك " تذكرنا بالثّورة النقديّة الّتي قام بها ضد كل الدوغماتيات المغلقة والضيقة ، فهذه المقولة النقديّة تعتبر شعارا لفلسفة التّنوير ، وهذا من خلال مقاله المعنّون بـ : " ما التنوير؟ " مبرزا دور العقل في البحث عن الحقيقة ، موظّفا روح النّقد في محاربة كل الخرّافات والأساطير والأعراف القديمة ، وما توصل إليه كانط نتيجة نقده لفلسفة هيوم التجريبيّة قائلا : " إنّ الذّات بوصفها إدراكا محضا لم تعد نفسيّا أو شيئا يحمل محمولات ميتافيزيقيّة ، وإنّما الذّات هي الوعي بالذّات وحريتها"[5]. وبهذا فإنّه أحدث ثورة قطيعة مع النظرة الميتافيزيقيّة التقليديّة السائدة ، ويستبدل بها النظرة النقديّة الواعيّة في ذاتها وبكل حريّة.
وما نلاحظه في فلسفة كانط أنّه أسّس لحداثة نقديّة غربيّة في شتى مناحي الحياة دون استثناء.

1-2-3/ هيجل والحداثة :

إذا تحدّثنا عن هيجل تحدّثنا عن منطق الجدل الثلاثيّ لتطور التّاريخ البشريّ ، وخاصة منطق تطور ثنائيّة الوجود والفكر معا ، لأنّه المجموع المتحرك للعلاقات الباطنة المشتركة في صميم كل شيء ، فالجدل هو نسيج الواقع نفسه وتعبير أعلى من الطموح العام للعقل في سعيه نحو الالتقاء بذاته في كل شيء ، والتعرف على نفسه ، وبهذا ربط النظام الشّامل ربطا ثنائيا بين

[3] - محسن صخري : **فوكو قارئا لديكارت** ، مركز الإنماء الحضاري ، سوريا ، ط1 ، سنة 1997 ، ص ص (42 - 43).
[4] - محسن صخري : **فوكو قارئا لديكارت** ، المرجع السابق ، ص47.
[5]- وائل غالي : **نهاية الفلسفة : دراسة في فلسفة هيجل** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، سنة 1997 ، ص50.

عالم الطبيعة وعالم الحياة ، وهذا الأخير بعالم بالرّوح ، وهذا العالم الأخير نفسه[6] . وهنا تتضّح الرؤيّة الحقة للحداثة عنده ، وذلك في قضية الجدل الّذي يعتبر الرّوح بالنسبة للتطور الّذي يربط بين الوجود والفكر معا ، وبهذا الترابط بينهما يحقق ذلك الاستمرار بفعل تلك الرّوح الواعيّة لذاتها ، إنّه ذلك العقل الّذي يسعى جاهدا للوصول إلى الحقيقة المطلقة ، فالرّوح الحداثيّة تتجلى من خلال المقولة القائلة : " إنّ مملكة الرّوح هي مملكة الحريّة "[7] . وما يفهم من هذا الخطاب أنّه أراد عقلنة الدولة ، وذلك من خلال إعطاء الأولويّة للفلسفة ، أي عالم الأفكار على عالم المادة ، وهذا يتجسّد بقوله الّذي يوحي بتلك المكانة والأهميّة القصوى الّتي أعطاها للعقل باعتباره خالقا وصانعا لهذا العالم ، وأنّ العالم هو التجسيد الحقيقي للفكرة أوالرّوح أو العقل المطلق ، وعلى حد قول " إيان كريب " مؤكدا أنّ هيجل يعتبر حقا فيلسوفا للوعي والعقلانيّة ، أو أحد رسمات الّتي تميز البشر عن غيرهم.

وأي مجتمع يمنع هذه المملكة فهو مجتمع غير عقلاني بالفعل. ومن خلال ما سبق نخلص إلى القول أنّ هيجل قد استخدم مفهوم الحداثة ضمن أطر وسياقات تاريخيّة للدلالة على الأزمنة الحديثة.

2-1/ أزمة العقلانيّة الأوروبيّة : (نقاد الحداثة الغربيّة) :

1-2-1/ فريدريك نيتشه ونقده للحداثة :

كلما تحدّثنا عن نيتشه تحدّثنا عن صاحب " مطرّقة الهدم " كما يقال عنه ، بالفعل جاء محطما للمركزيّة الغربيّة أو للحداثة المفرطة الّتي وقع فيها الغرب ، فهو أول من عبر عن المنهج التفكيكي في المشروع التحديثي والاستناري الغربي الّذي يدور في إطار العقلانيّة المادية ، ومن ثمة فهو فيلسوف الاستنارة المظلمة واللاعقلانيّة الماديّة بلا منازع ، فهو جاء ليحطم تلك المقدسات المطلقة ، أي جاء ليقضي على أي مركزيّة لأي كائن أم إنسانا ، بحيث الإنسان أصبح بلا ذات ولا حدود ولا قيود ولا مركزيّة ، وهذا هو جوهر الاستنارة المظلمة.[8]

2-2-1/ مارتن هايدغر ونقده للحداثة :

إذا بحثنا في طبيعة النّقد الذي انتقده هايدغر للحداثة الغربية ، فإنه نقد عدمي ، حيث بيّن أنّ همّ الحداثة هو الهيمنة والسيطرة على كل شيء أو الهيمنة الحديثة للذّات من داخل تاريخ

---

[6] - عبد الله إبراهيم : **المركزيّة الغربيّة - إشكاليّة التكوّن والتّمركز حول الذّات** ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، سنة 1997 ، ص104.

[7] - وائل غالي: **نهاية الفلسفة**، المرجع السابق، ص ص، (366- 367).

[8] - عبد الوهاب المسيري : **نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر** ، من مجلة أعراف فلسفية ، القاهرة ، العدد (01) ، سنة 2010 ، ص97.

الميتافيزيقا نفسه[9] . وهكذا فإنّه عرف النّوايا الخبيثة للعقل الغربي في حبّ التسلط والسيطرة على كل شيء مع الحفاظ على ذواتهم المتّمركزة حول نفسها ، وهذا الفهم الحداثي للعقل الغربي أدى إلى إقصاء الآخر. فالنّقد الّذي قدّمه هايدغر يعتبر نقدا شاملا مطلقا كل الإطلاق
هذا لأنّ الحداثة الغربيّة شخصّت الإنسان على أنّه لا متناهي، واعتبارها لا نهائيّة في السيطرة والهيمنة على العالم بأسره.

1-2-3/ ماكس هوركايهمر ونقده للحداثة :

فمن خلال كتابه المسّمى " جدل التنوير " مبرزا أنّ العقل الغربي الحداثي قد اضمحل ، هذا لأنّه ميّز بين العقل الذاتي والعقل الموضوعي ، فالأول هو الّذي ينشغل بالجزئيات والأهداف القريبة ، وهذا العقل همّه هو السيطرة على الطبيعة والبشر معا دون نهاية ،

أما العقل الثّاني فهو الّذي يؤكد على القيّم العليّا والخالدة ، كغايات ساميّة ، مثل الحياة الفاضلة والسّعادة ، وأيضا تحقيق المعقوليّة في الحياة[10]. وهنا ندرك أنّه انتقد العقل الغربي على أنّه عقل نفعي مادي أناني همّه الوحيد هو السيطرة على العالم دون نهاية ، وليس إسعاد النّاس وإدخال البهجة في قلوبهم ، وكما حكم " هوركايهمر " على تاريخ العقلانيّة الأوروبيّة أنها مسيرة نحو العدميّة[11]. فهذا النّقد واضّح وجليّ لديه باعتبار أنّ الحداثة الغربيّة نوع من الأسطورة تحمل في ثناياها جملة من الأساطير لأغراض أداتيّة مصلحيّة ، وبهذا أصبحت تعرف بأسطورة العلم محل أسطورة اللاعلم.

1-2-4/ تيودور أدورنو ونقده للحداثة :

لقد كتب " تيودور أدورنو " كتابين أولهما : " الجدل السلبي " سنة 1973 م والثّاني " ذرة الأخلاق " سنة 1974 ، إذ بيّن في نقده للحداثة الغربيّة أنّ ما وعدت به الأنوار لم يتحقق ، بل انقلب سلبا ، فبدل أن تحرّره من العبوديّة والقهر مارست عليه الاستعباد والطغيان أكثر من السّابق[12]. وأيضا " أودرنو " يؤكد أنّ العقل الأداتي هو عقل قمعي ، عقل يسلب ويدمر السمتين

---

[9] - فتحي المسكيني : **هابرماس أمام هايدغر أم كيف الكلام عن الفلسفة**، من مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، سنة 1991 ، ص23.

[10] - أشرف حسن منصور : **التأثير النيتشوي على مدرسة فرانكفورت ، رؤية هابرماس** ، من مجلة أوراق فلسفية ، المرجع السابق ، ص71.

[11] - هاشم الصالح: **الفلسفة الغربية في ختام هذا القرن (تيارات ومذاهب)** من مجلة " البحرين للثقافة " العدد 23، سنة 2000، ص71.

[12] - إيان كريب : **النظرية الاجتماعية** ..... المرجع السابق، ص321.

الأساسيتين هما : قدرة الإنسان على تحويل بيئته ، وقدرته على القيام باختيارات عقلانيّة جماعية تتعلق بحياتنا جميعا[13]. وما يفهم من هذا العقل الأداتي أنّه عقل ذاتي وأناني ومدمر.

1-2-5/ هربرت ماكوز ونقده للحداثة :

لقد انتقد هربرت ماكوز الحداثة الغربيّة من خلال كتابين الأول بعنوان : " الإنسان ذو البعد الواحد " والثّاني بعنوان : " إيروس والحضارة " ، حيث يرى أنّ الحداثة حاجة لا نهائيّة نحو الهيمنة ، وهي حداثة رأسماليّة قادرة على استغلال كل البشر حفاظا على الوجود الغربي متمركزا على كل شيء ، هذا ما جاء في كتابه المسّمى " إيروس والحضارة "[14]. وكما ينتقد المجتمع الصناعي ، وهذا في حداثية الإنسان على الطبيعة التي تتضمن حداثية الإنسان ، هذا يعني حينما يتحكم الإنسان على التقنيّة فهو بذلك يتحكم على حرية الآخرين ، وبذلك فقدوا أعزّ ما يملكون في حياتهم المستقبليّة[15]. وما يلاحظ من هذا النّقد الّذي وجهه ماركوز للتقنيّة الغربيّة هو أنّه حرمته من الحريّة التي تعتبر أعزّ ما يملك الفرد في تقرير مستقبله ، وبرغم أنّ التقنيّة تخدم البشريّة جمعاء ، إلاّ أنّها أصبحت فيما بعد لها بعد إيديولوجيا من وراء هذه التقنيّة ، فطبيعة هذا النّقد عدمي وتشاؤمي ، هذا لأنّ الإنسان أصبح يعيش بعدا واحدا فقط ، وهذا ما حوّل العقلانيّة إلى اللاعقلانيّة ، والحريّة إلى نقيضها ،أي إلى استبداد جديد ، وتحول المجتمع من أسطورته الظلاميّة إلى أسطورة أكثر ظلاميّة من عصر ما قبل الأنوار.

1-2-6/ جاك دريدا ونقده للحداثة :

لقد جاء جاك دريدا بمنطق الاختلاف والتمايز عكس ما تحمله الحداثة الغربيّة من النمذجة والفردنة الأوروبيّة ، حيث انتقد التّراث الغربيّ وبين أنّها محاولة أو لنقل دعوى للخروج من استعمار العقل وإمبريالية مركزية العقل[16]. وما يلاحظ من هذا النّقد أنّه أراد إخراج
العقل من تمركزه الضيق ، وصبغه بصبغة الاختلاف والتمايز حتىّ لا يكون أي عقلا متمركزا حول ذاته ، وهكذا نجد " دريدا " صحّح نوعا ما الحداثة الغربيّة ببديل حضاري يؤمن بالتّعدّد والاختلاف دون انغلاق وتمركز أحادي.

1-2-7/ جان فرانسوا ليوتار ونقده للحداثة :

يعتبر " فرانسوا ليوتار " من الأوائل الّذين وظّفوا مصطلح " ما بعد الحداثة " من خلال كتابه المسّمى " وضع ما بعد الحداثة " سنة 1979 م ، هذا الكتاب الّذي يطرح فيه اعتراضات

---

[13] - هاشم الصالح: **الفلسفة الغربية في ختام هذا القرن** - المرجع السابق، ص70.
[14] - إيان كريب : **النظرية الاجتماعية** ..... المرجع السابق، ص329.
[15] - فارس أبو صعب: **العرب وحتمية الحداثة**، من مجلة " قضايا وفكرية، القاهرة، سنة 1999، ص302.
[16] - جورج زيناتي : **عواصف غربية ضد العقلانية ، هل يغرق العقل؟** ، العددان (65-64) ،من مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، سنة 1989 ، ص 35.

خاصة حول الحداثة في مفاهيمها (الحريّة / العقلانيّة / التقدم) ، وهنا أقرّ بالفشل لهذه الحداثة الغربيّة وباضمحلالها ،وهنا نلاحظ أنّه هدّم وأسقط تلك الأصنّام المقدّسة ، والّتي يتغنى بها العقل الغربي طوال الدّهر.

ولقد وضّح " فرانسوا ليوتار " أنّ نصف من البشريّة تواجه صعوبات معقدّة كالمجاعة وحروب ضد الدول الضعيفة ، وهذا ما جعلهم بعيدين كل البعد عن التفكير في المستقبل البعيد[17]. فمن خلال هذا ندرك أنّ سبب فشل الحداثة الغربيّة هو الظلم والاستبداد الّذي مورّس على الدول المتخلفة و المقهورة ، لهذا الحداثة خدمت الغرب فقط ، ولم تخدم غيرها ، وهنا تظهر الأنانيّة وحبّ الذّات في مشروع الحداثة الغربيّة.

2/ هابرماس بين الحداثة الحقة ونظرية العقل التواصلي :

2-1/ مفهوم الحداثة الحقة عند هابرماس :

من خلال الهجمات المضادة من قبل فلاسفة سابقين مارس هابرماس نقدا فوق انتقاداتهم ، من أجل إعادة الثقة المفقودة للعقل الغربي ، وحتّى يصل إلى مبتغاه المنشود أراد تحقيق مشروع إعادة الاعتبار للحداثة الغربيّة ، وإلى درجة كتب مقالا فلسفيا يدافع فيه عن الحداثة الغربيّة باعتبارها مشروعا لم يكتمل بعد ، أو بصيغة " الحداثة مشروع ناقص "[18].

والأمر الّذي أضافه " هابرماس " في الحداثة من خلال قوله : " لابّد من مواجهة الحداثة بقوة إبداعيّة لا بالاستسلام ، وذلك باتخاذ الرفض تجاهها ، بل علينا اتخاذ النّقد وسيلة في مواجهة الحداثة ، لأنّ النّقد يعتمد على اللغة وللغة عقلانيتها الخصوصيّة "[19]. و ما يدرك من هذا القول أنّ هابرماس يؤكد على مدى استمرارية وتواصل الحداثة بالنقد الّذي يعطي للعقلانيّة فهما آخر يختلف عن الفهم القديم لها.

2-2/ نظرية العقل التواصلي :

على غرار العقل الأداتي (المادي) أراد هابرماس تقديم بديل حضاري آخر يتجلى في العقل التواصلي فما هو يا ترى ؟

إنّ العقلانيّة التواصليّة هي تلك الفضيلة التي يمكن أن يحوزها خطاب ما بالتوافق والرضا دون ضغط. وعلى تأسيس إجماع حين يتغلب النّاس المشاركون فيه بفضل توافق مبرر عقليّا على التطورات المطبوعة، فالعقل التواصلي يعبر عن ذاته داخل فهم لا متّمركز للعالم[20]. ما أراده

---

[17] - الزواوي بغورة : **الحاضر بديل للحداثة** ، من مجلة : قضايا فلسفية ، القاهرة ، سنة 1999 م ، ص283.

[18] - يورغن هابرماس : **الحداثة مشروع ناقص** ، ترجمة بسام بركة ، من مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، العدد39 سنة 1986 ، ص49.

[19] - محمد نور الدين أفاية : **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس)** إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1998 ، ص257.

[20] - محمد نور الدين أفاية : **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقديّة المعاصرة (هابرماس)** المرجع السابق ، ص212.

في العقل التواصلي هو أنّه وسّع من مفهوم العقل الغربي، وذلك في إخراجه من تمركزه الذاتي ونقله إلى مجاله العمومي لجميع النّاس وبمبررات عقليّة قاطعة لذات التفاهم والإجماع والانفتاح.

وما يفهم أكثر في نظرية العقل التواصلي هو مدى إعادة الإنتاج الرّمزيّ للعالم المعيش مقرونة بإعادة الإنتاج المادي لهذا العالم[21]. وهنا ندرك تمام الإدراك أنه أراد خلق نوع من التوازن أو التكامل بين الإنتاج المادي والإنتاج الرمزي ، والمقصود بهذا هو خلق علاقة وثيقة بين ما هو مثالي وواقعي في حياتنا ككل دون إقصاء طرف على طرف آخر ، وعلى أساسه أنّ ما هو مادي وروحي يشكلان التفاعل الاجتماعيّ في العالم ككل .

وهنا ندرك أنّه نادى بمنطق التنوع والاختلاف في الحداثة ، لأنّ فلسفة التنوع هي الحل الوحيد لتصحيح العقل الغربي ، ومن جهة التّعدد هو الّذي يستطيع تحطيم النموذج الغربي المهيمن على الفكر والفلسفة، فالعقل عنده لا يفيد التقلص أو القوة أو الغطرسة ، بل يعني مساهمة جماعية لجعل الحياة ممكنة وبعيدة عن القهر والاستبداد والخصومة ، فالمعقوليّة نضال ضد لا معقولية القوة والاستبداد[22] .ففي هذا النّص الهابرماسي ندرك أنّه نادى بنوع من حوار الحضارات ومد يد التواصل بين الشّعوب بغض النظر عن الأجناس والثقافات والأديان وشتى مجالات الحياة العامة ، هذه النظريّة النقديّة الّتي قدمها هابرماس تعد نظرية مفتوحة على العالم بأسره دون انغلاق أعطت للحداثة مصداقية أكثر فأكثر.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكننا القول أنّ موقف هابرماس من الحداثة كان واضّحا كل الوضّوح ، باعتبار أنّ الحداثة تعتبر مشروعا فلسفيا ناقصا لم يكتمل بعد ، فالعقل الغربي مهما وقع في أزمات حادة لا يعني أنّه تحطم نهائيا ، بل على العكس فهو طريق النمو والتطور والمراجعة والتهذيب طوال وجوده ، فما قدمه هابرماس يعد نقدا موضوعيا تجاه الفلاسفة العدميين واللاعقلانيين ، معارضا العقل الأداتي التقني وإعطائه بديلا حضاريا يتجلى في العقل التواصلي ، فالنظرة الهابرماسية نظرة معتدلة وإنسانية حقا ، حيث عزّز نظريته النقديّة بمعايير أخلاقيّة وسياسيّة وهذا بهدف خلق التوازن النّفسيّ في الوجود الإنسانيّ .

فالعقل الّذي نادى به لهو عقل إنساني خالص بعيد عن الضغوط والكراهيّة والهيمنة والاستبداد ، فمن مبادئ هذا العقل التواصلي الحوار والتسامح والتواصل بين البشر ، وبعث التّفاؤل والسّعادة والأخوة وكل معاني الإنسانيّة بهدف إحياء الإنسان مجدّدا ، فمبتغاه هو المستقبل

[21] - أشرف حسن منصور : **نقد هابرماس لتيار ما بعد الحداثة** ، من قضايا فكرية ، كتاب دوري عن قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الكتاب 29 ، سنة 1999 ، ص 456.

[22] - فتحي التريكي : **قراءات في فلسفة التنوع** - الدار العربية للكتاب ، سنة 1988 ، ص21..

الأفضل ، وذلك بالقوة البرهانيّة الّتي تظهر من خلال النّقد الّذي يميز بين ما هو سوي وما هو غير سوي في الحضارة الغربيّة ،بفضل هذه النظريّة النقديّة يعتبر هابرماس فيلسوف هذا القرن دون منّازع ، وتبقى نظريته الفلسفيّة قابلة للنقاش والحوار والمستقبل سيظهر ذلك مهما طال أو قصر.

*** قائمة المراجع :**

1/ الزواوي بغورة : **الحاضر بديل للحداثة وما بعد الحداثة** ، من قضايا فكرية ، كتاب دوري يصدر عن قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الكتاب 29 ، سنة 1999.

2/ أشرف حسن منصور : **التأثير النيتشوي على مدرسة فرانكفورت ، رؤية هابرماس** ، من مجلة أوراق فلسفية ، من كتاب دوري تصدره قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، العدد 01 سنة 2000.

3/ أشرف حسن منصور : **نقد هابرماس لتيار ما بعد الحداثة** ، من مجلة قضايا فكرية ، كتاب دوري تصدره قضايا فكرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الكتاب 29 ، سنة1999.

4/ إيان كريب : **النظريّة الاجتماعيّة من بارسونز إلى هابرماس** ، ترجمة : حسين غلوم ، من مجلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، الكويت ، العدد 244 ، سنة 1999.

5/ جورج زيناتي : **رحلات داخل الفلسفة الغربيّة** ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، سنة 1993.

6/ جورج زيناتي : **عواصف ضد العقلانية ، هل يغرق العقل؟** من مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، العددان ، 65/64 ، سنة 1989.

7/ جون كوتنغهام : **العقلانيّة** ، ترجمة : محمود منقذ الهاشمي ، مركز الإنماء الحضاري ، تونس ، ط1 ، سنة 1997.

8/ عبد الله إبراهيم : **المركزيّة الغربيّة ـ إشكاليّة التكوّن والتّمركز حول الذّات** ، المركز الثقافي الغربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، سنة 1997.

9/ عبد الوهاب المسيري : **نيتشه فيلسوف العلمانيّة الأكبر** ، من مجلة أوراق فلسفية ، القاهرة ، العدد 01 ، سنة 2000.

10/ فتحي التريكي : **قراءات في فلسفة التنوع** ـ الدار العربية للكتاب ، سنة 1988.

11/ فارس أبو مصعب: **العرب وحتميّة الحداثة**، من مجلة قضايا فكرية، القاهرة، سنة 1999.

12/ فتحي المسكيني : **هابرماس أمام هايدغر ، كيف الكلام عن الفلسفة** ، من مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، سنة 1991.

13/ محمد نور الدين أفاية : **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقديّة المعاصرة ، (نموذج هابرماس)** ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1998.
14/ محسن صخري : **فوكو قارئا لديكارت** ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، سوريا ، ط1 ، سنة 1997.
15/ وائل غالي : **نهاية الفلسفة ، دراسة في فكر هيجل** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، سنة1997 .
16/ هاشم الصالح: **الفلسفة الغربية في ختام القرن (تيارات ومذاهب)**، من مجلة البحرين الثقافية، العدد 23، سنة 2000.
17/ يورغن هابرماس : **الحداثة مشروع ناقص** ، ترجمة : بسام بركة ، من مجلة الفكر العربي المعاصر ، عن الإنماء القومي ، بيروت ، لبنان ، العدد 39 ، سنة 1986.